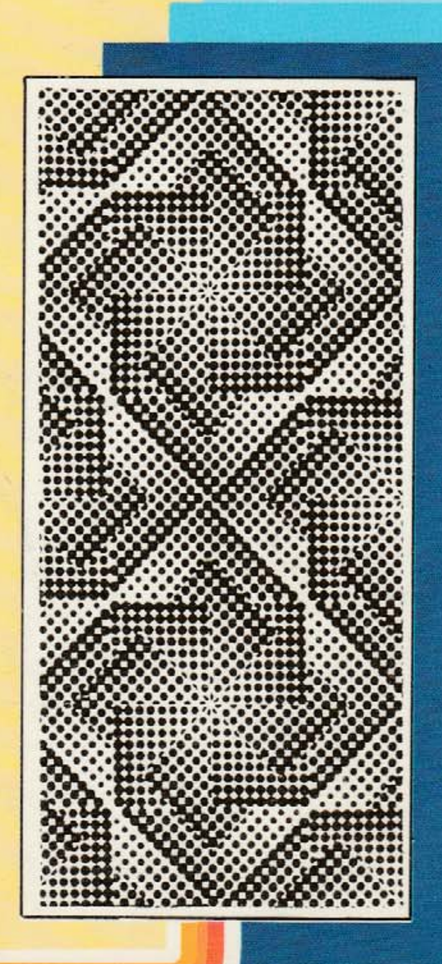


القول المبين

في جماعة المسلمين

بقلم

سليم بن عيد الهلالي



دار الراية
للنشر والتوزيع


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القول المبين

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م



دار الراية
للنشر والتوزيع
الرياض ص.ب ٤٠١٢٤
الرياض ١١٤٩٩ - هاتف : ٤٩١١٩٨٥

القول المبين في جماعة المسلمين

بقلم
سليم بن عيد الهلالي

دار الراية
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فهذه رسالة استوعبت فيها طرق حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في لزوم جماعة المسلمين، وحررت ألفاظه الصحيحة، ثم كررت على المسائل الرئيسية شرحاً وبياناً، لأن هذا الحديث يمثل مفتاح كثير من المسائل التي يتجاذبها كثير من الدعاة العاملين في ميدان الدعوة إلى الله ويطرح الحل النبوي لكثير من المسائل المعضلة في حياة المسلمين المعاصرة.

وتحريت في طرح ذلك الإيجاز فراراً من التطويل الممل، وأرجو الله أن يجنبني الخلل في القول والعمل.

فإذا وقفت أخا الإسلام على خير ـ وأرجو ذلك ـ فلا تنسانا من دعوة صالحة، وإن كانت الأخرى ـ ونعوذ بالله من الخذلان ـ فانصح لنا فإننا آذان صاغية ـ إن شاء الله.

وأسأل الله أن يتقبل جهد المقل بقبول حسن، ويجعله للدعاة المخلصين إماماً يهدي للتي هي أقوم، وأن يدخر لنا ثوابه إلى يوم لقائه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم إنه سميع عليم.

وعلى الله قصد السبيل.

وكتبه

أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي



١ - نص الحديث

عن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ قال:
كان الناس يسألون رسول الله عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني.
فقلت يارسول الله:
إنا كنا في جاهلية وشر، وجاء الله بهـذا الخير، فهـل بعد هـذا الخير من شر؟
قال:
«نعم».
قلت:
وهل بعد هذا الشر من خير؟
قال:
«نعم، وفيه دخن».
قلت:
وما دخنه؟
قال:

«قوم (يستنون بغير سنتي) ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر».
قلت:
فهل بعد ذلك الخير من شر؟
قال:
«نعم، دعاة على أبوابِ جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها».
قلت:
يا رسول الله صفهم لنا.
قال:
«هم من جلدتنا، ويتكلمون بألستنا».
قلت:
فما تأمرني إن أدركني ذلك؟
قال:
«تلزم جماعة المسلمين وإمامهم».
قلت:
فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟
قال:
«فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك».

٢ ـ توثيق الحديث

قلت: وله عنه طرق:

الأولى: من طريق الوليد بن مسلم ثنا ابن جابر ثنا بسر بن عبيد الله الحضرمي أنه سمع أبا إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول: وذكره. أخرجه البخاري (٦/٦١٥ ـ ٦١٦و١٣/٣٥ ـ فتح)، ومسلم (١٢/٢٣٥ ـ ٢٣٦ ـ نووي)، والبغوي في شرح السنة (١٥/١٤) بتمامه.

وأخرج ابن ماجه (٣٩٧٩) شطره الأخير.

الثانية: من طريق عبد الرحمن بن قرظ عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: وذكر شطر الحديث الأخير. أخرجه ابن ماجه (٣٩٨١)، والحاكم (٤/٤٣٢) وصححه ووافقه الذهبي.

قلت: عبد الرحمن بن قرظ مجهول.

الثالثة: من طريق أبي سلام قال: قال حذيفة بن اليمان: قلت

يارسول الله إنا كنا في شر، فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر؟

قال: «نعم».

قلت: هل وراء الشر خير؟

قال: «نعم».

قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟

قال: «نعم».

قلت: كيف؟

قال: «يكون بعد أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوب الشياطين في جثمان إنس».

قال: قلت: كيف أصنع يارسول الله إن أدركني ذلك؟

قال: «تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع».

أخرجه مسلم (١٢/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧، ـ نووي).

قال الدارقطني في «الإلزامات والتتبع» (ص١٨٢): «وهذا عندي مرسل، أبو سلام لم يسمع من حذيفة ولا نظرائه الذين نزلوا العراق لأن حذيفة توفي بعد مقتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ بليال، وقد قال فيه: حذيفة، فهذا يدل على إرساله». أ. هـ

قال النووي في «شرح صحيح مسلم» (١٢/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨) بعد أن ساق كلام الدارقطني وهو

كما قال الدارقطني، لكن المتن صحيح متصل بالطريق الأولى، وإنما أتى مسلم بهذا متابعة كما ترى، وقد قدمنا في الفصول وغيرها أن الحديث المرسل إذا روي من طريق آخر متصلاً تبيناً به صحة المرسل، وجاز الاحتجاج به، ويصير في المسألة حديثان صحيحان» أ. هـ.

وقال الشيخ مقبل بن هادي في تعليقاته على «الإلزامات والتتبع» (ص١٨٢): وفي حديث حذيفة هذا زيادة ليست في حديث حذيفة المتفق عليه وهي: «وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك» فهذه زيادة ضعيفة لأنها من هذا الطريق المنقطعة، والله أعلم. أ. هـ.

قلت: كأن الأخ مقبل لم ينشط لتتبع هذه الزيادة، ولو فعل لوقف على خلاف ما كتب فإن لهذه الزيادة متابعات:

أـ من طريق صخر بن بدر العجلي عن سبيع قال:

أرسلوني من ماء إلى الكوفة أشتري الدواب فأتينا الكناسة فإذا رجل عليه جمع.

قال: فأما صاحبي فانطلق إلى الدواب، وأما أنا فأتيت فإذا هو حذيفة فسمعته يقول:

كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن الخير، وأسأله عن الشر، فقلت:

يارسول الله هل بعد هذا الخير شر كما كان قبل؟

قال: «نعم».

قلت: فما العصمة منه؟

قال: «السيف أحب».

قال قلت: ثم ماذا تكون؟

قال: «تكون هدنة على دخن».

قال قلت: ثم ماذا؟

قال: «تكون دعاة الضلالة، فإن رأيت يومئذ خليفة الله في الأرض فالزمه، وإن نهك جسمك، وأخذ مالك، فإن لم تره فاهرب في الأرض ولو أن تموت وأنت عاض بجذع شجرة».

قلت: ثم ماذا؟

قال: «ثم يخرج الدجال».

قلت: فيم يجيء به معه؟

قال: «بنهر - أو قال: بماء - ونار، فمن دخل نهره حط أجره، ووجب وزره، ومن دخل ناره وجب أجره وحط وزره».

قال: قلت: ثم ماذا؟

قال: «اتخذ فرساً فلم تركب فُلُوَّها حتى تقوم الساعة».

قال شعبة: أبو بشر في إسناد له عن حذيفة قال:

قلت: يارسول الله ماهدنة على دخن؟.

قال: «قلوب لاتعود على ما كانت».

أخرجه أبو داود (٤٢٤٧)، وأحمد (٥/٤٠٣).
قلت: صخر بن بدر مجهول، لكن تابعه نصر بن عاصم عن سبيع بن خالد[1].
قال: أتيت الكوفة في زمن فتحت تستر أجلب منها بغالاً، فدخلت المسجد فإذا صدع من الرجال، وإذا رجل جالس تعرف إذا رأيته أنه من رجال الحجاز.
قال: قلت: من هذا؟
فتجهمني القوم، وقالوا:
أما تعرف من هذا؟ هذا حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله.
وذكره بنحوه، وفيه:
«إن كان لله خليفة في الأرض فضرب ظهرك، وأخذ مالك فأطعه».
أخرجه أبو داود (٤٢٤٤ ـ ٤٢٤٦)، وأحمد (٥/٣٨٦ ـ ٣٨٧ و ٤٠٣)، والبغوي في «شرح السنة» (١٥/٨ ـ ١٠)، والحاكم (٤/٤٣٢) وصححه ووافقه الذهبي.
قلت: وهذا إسناد حسن مادون سبيع بن خالد ثقات رجال مسلم.
وبهذا يكون قوله:

(١) ويقال: خالد بن خالد كما وقع في بعض الرويات.

«فإن كان لله خليفة في الأرض» أصح من رواية صخر بن بدر العجلي: «خليفة الله» فإنها مستنكرة رواية ودراية.

وتابعه أيضاً علي بن زيد عن سبيع بن خالد.

أخرجه أحمد (٥/٤٠٦).

قلت: وهذا إسناد فيه ضعف لأن علياً في حفظه ضعف.

ب ـ وتابع زيد بن وهب أبا سلام عن حذيفة.

أخرجه أحمد (٥/٤٠٤).

قلت: زيد بن وهب ثقة كما في «التقريب».

وبهذا يكون حديث حذيفة من طريق أبي سلام ثابت صحيح بشواهده.

الرابعة: من طريق وكيع عن سفيان عن عطاء بن السائب عن أبي البختري قال: قال حذيفة: وذكره.

أخرجه أحمد (٥/٣٩٩).

الخامسة: من طريق أبي المغيرة ثنا صفوان ثنا السفر بن نسير الأزدي وغيره عن حذيفة بن اليمان أنه قال:

يارسول الله إنا كنا في شر فذهب الله بذلك، وجاء بالخير على يديك فهل بعد الخير من شر.

قال: «نعم».

قال: ماهو؟
قال: «فتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضا تأتيكم مشتبه كوجوه البقر لا تدرون».
أخرجه أحمد (٥/٣٩١).



٣ - معرفة سبيل المجرمين: فريضة شرعية وضرورة حركية

اعلموا بارك الله فيكم أن المنهج الرباني الخالد، المسكوب بالأسلوب القرآني المعجز والمنزل على قلب خاتم النبيين، والمفصل بالبيان النبوي الصحيح عندما صاغ جيل القدوة الأول من الصحابة الأبرار، والتابعين الأخيار أوضح معالم الحق لتتبع سبيل المؤمنين.

قال تعالى:

«ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا»(١).

ولكنه لم يقف عند حدود هذا البيان بل كشف الباطل، وفضح زخرفه، لتستبين سبيل المجرمين.

قال جل ثناؤه:

﴿وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين﴾(٢).

---

(١) النساء: ١١٥

(٢) الأنعام: ٥٥

واعلم أخا الإيمان أسعدك الله وأثلج صدرك ببرد اليقين أن هذا التفصيل بيان تظهر به المعاني شيئاً بعد شيء، وإذا كان الخطاب للنبي ﷺ فإن المراد أمته.

ولذلك فإن استبانة سبيل المجرمين ضرورية لوضوح سبيل المؤمنين ومن أجل ذلك فإن استبانة سبيل المجرمين كانت هدفاً من أهداف التفصيل الرباني للآيات، لأن أي شبهة أو غبش في سبيل المجرمين ترتد غبشاً ولبساً على سبيل المؤمنين، وبهذا يكون سفور الكفر والإجرام ضروري لوضوح الإيمان والخير والصلاح.

إن إنشاء اليقين الإعتقادي بالخير والحق يقتضي رؤية الجانب المضاد من الباطل والشر والإجرام، والتأكد أن هذا باطل محض، وشر خالص، لأنه لا بد من تمايز الأمور وتميزها ولذلك قيل:

بضدها تتميز الأشياء.

واعلم أيها العبد المسلم أن بناء الاسلام المتين أسس على هذا الركن الركين ودونك التفصيل:

أولاً: ـ التوحيد

من المعلوم أن التوحيد أس الاسلام، وفيه لايكفي الإيمان فحسب دون معرفة الشرك والبراءة منه، وإلى هذه الحقيقة الإيمانية أشار العلي العظيم مبيناً أنها العروة الوثقى التي لا انفصام لها في البناء الإيماني.

قال السميع العليم:

﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾[1].

ولقد حقق جيل القدوة الأول الذي تربى في أحضان مدرسة الوحي الإلهي هذه الحقيقة في حياتهم، وطبقوها في واقعهم كما أخبر عنهم الذي غرسهم بيده واستعملهم بطاعته فقال تبارك وتعالى:

﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد﴾[2].

وقرر الرسول ﷺ هذه المعاني فقال:

«من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دونه حرم ماله ودمه وحسابه على الله»[3].

بل إن جميع الرسل دعوا أقوامهم إليها كما أخبر الخبير البصير:

﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[4].

---

(١) البقرة: ٢٥٦

(٢) الزمر: ١٧

(٣) أخرجه مسلم

(٤) النمل: ٣٦

ثانياً : ـ السنة

لا يكتفي في التعبد الاقتصار على معرفة السنة فقط، بل لابد من معرفة ما يناقضها من البدع، وإلى هذا الأمر أشار رسول الله ﷺ.

عن العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ :
صلى رسول الله ـ ﷺ ـ صلاة الغداة، ثم أقبل بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها الأعين، ووجلت منها القلوب.

فقال رجل: يارسول الله كأن هذه موعظة مودع.
فقال:
«اتقوا الله وعليكم بالسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً ولى، من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة».

ووجوب معرفة ما يناقض التوحيد وينافي السنة واضح في كلمة الإخلاص التي لن يلج إنسان الاسلام إلا بها وهي: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

إن الشهادة الأولى: سلب وإيجاب، نفي وإثبات.

---

(٥) صحيح ـ أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٤٠) وغيرهم.

سلب الألوهية ونفيها عن غير الله لأنه لا يستحق العبادة، واثباتها لله ـ جل جلاله ـ فهو وحده الإله الحق.

والشهادة الثانية كذلك.

فهي سلب الاتباع ونفي التأسي المطلق عن غير رسول الله ـ ﷺ ـ واثباته لرسول الله ـ ﷺ، لأنه وحده المعصوم الذي لاينطق عن الهوى، وفي سبيله الرشاد والهدى.

إذن فالشهادة الأولى تعني:

لا معبود بحق إلا الله.

والشهادة الثانية تعني:

لامتبوع بحق إلا رسول الله ﷺ.

ثالثاً: الدعوة إلى الله

وعلى هذا الأصل قامت الدعوة إلى الله تبارك وتعالى كما أمر مولانا الحق:

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾[1].

---

(١) آل عمران: ١٠٤

وبذلك تكون أمة الإسلام خير الناس وأفضلهم كما أخبر تبارك وتعالى:

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾[2].

ولهذا ينبغي على الدعاة أن يحذروا الأمة من الشرك والبدع لأن ذلك هو النهي عن المنكر ويأمروها بالتوحيد والسنة لأن ذلك هو الأمر بالمعروف.

واعلموا رحمكم الله أن هذا الأمر مضطرد في الشرع والكون إذ أنه من سنن الله الجارية حيث لا تتم الحكمة ولا تعم القدرة إلا بخلق الشيء وضده.

قال خطيب أهل السنة ابن قتيبة الدينوري في كتابه الفذ «تأويل مختلف الحديث» (ص١٤):

«ولن تكتمل الحكمة والقدرة إلا بخلق الشيء وضده ليعرف كل واحد منهما بصاحبه، فالنور يعرف بالظلمة، والعلم يعرف بالجهل، والخير يعرف بالشر، والنفع يعرف بالضر، والحلو يعرف بالمر».

لقول الله تبارك وتعالى:

﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾[1].

---

(٢) آل عمران: ١١٠

(١) يس: ٣٦

والأزواج: الأضداد والأصناف، كالذكر والأنثى واليابس والرطب، وقال تعالى:

﴿**وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى**﴾[٢].

وهكذا يجب على العاملين للإسلام على بصيرة أن يبدأوا بتحديد سبيل المؤمنين لاتباعها، وتجريد سبيل المجرمين لاجتنابها وذلك في الواقع لا النظريات.

ويجب ألا تأخذ الدعاة إلى الله في كلمة الحق هوادة ولا في موقف الفصل مداهنة وألا تأخذهم خشية، ولا يكبح جماحهم خوف، ولا تقعدهم لومة لائم، ولا صيحة صائح، ولا شماتة شامت.

إن الإسلام ليس بهذا التمييع الذي يظنه المخدوعون، إن الإسلام بين والكفر بين وليس بينهما مشتبهات أو متشابهات.

أجل يجب على الدعاة إلى الله أن يجتازوا هذه القنطرة، وأن تكتمل في نفوسهم هذه الاستبانة كي تنطلق طاقاتهم كلها قدماً في سبيل الله لا تصدها شبهة، ولا يعوقها عبْش ولا يميعها لبس.

واعلموا أخوة الإيمان أن طاقات العاملين وجهود المخلصين لن تؤتي أكلها ولن تونع ثمارها إلا إذا

---

(٢) النجم: ٤٥

اعتقدوا بيقين أنهم سلكوا سبيل المؤمنين وأن الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا هم المجرمون، بحيث لا يختلط السبيلان، ولا يتشابه العنوانان، ولا تلتبس الملامح والسمات بين المؤمنين والمجرمين.

وإلا فإن عملهم هباء، وسيرهم عناء لأن من لم يعرف الخير من الشر يقع في الشرك، وهو يظن أنه يحسن صنعا، ويغير وضعا، ويكثر جمعا، ولذلك قال بعض الشعراء الأذكياء:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه
ومن لم يعرف الخير من الشر يقع فيه

ولقد أدرك جيل القدوة الأول الذين أوتوا العلم والإيمان هذه الحقائق حتى أصبحت الدنيا بهم جنة غناء فيها من كل خير بهيج، ولكنه يعرف كل شر يهيج، فإن في معرفة الشر تحذيراً من الوقوع فيه، وهذا ما يقرره أمين السر النبوي الذي كان يعرف المجرمين بسيماهم وأسمائهم في صدر هذا الحديث العظيم حيث أخبر قائلاً:

كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني.

لقد كان الخير معدنهم، والحذر من الشر ديدنهم ترى ذلك شاخصاً في الموقف التالي:

عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:
«لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاً فيجعلها الله عز وجل هباء منثورا».

قال ثوبان:
يارسول الله صفهم لنا جلهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم.

قال:
«أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم[1] ويأخذون من الليل كما تأخذون[2] ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها»[3].

وعلى هذا الأصل يتم تخريج أحاديث الرسول ﷺ التي تحذر الأمة الإسلامية من الوقوع في الشر وتصفه وتحدده.

ولكن خلفت خلوف نسوا حظا مما حذروا منه فلم يعوا هذه الحقائق التي تحمي عرين الإسلام من شر

---

(١) أي من جنسكم.
(٢) أي لهم نصيب من التهجد والقيام في الليل.
(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢٤٥) من حديث ثوبان رضي الله عنه وصححه المنذري والبوصيري وشيخنا في «الصحيحة» (٥٠٥). قلت: وهو كما قالوا.

يراد به فإذا بأمم الكفر تداعى على أمة الإسلام ودولة الخلافة كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فتقاسموا تركة الرجل المريض كما كانوا يسمونها.

وهذه التسمية ذات دلالات واقعية وجدنا صدقها في أحاديث رسول الله ﷺ الذي حذر أمته من كل سوء يراد بها، وكل مكر تنسجه أيدي الشياطين.



٤ ـ حصوننا مهددة من الداخل[١]

الدلالة الأولى:

إن أعداء الله يرصدون نمو دولة الإسلام حيث رأوا أن الوهن دب إليها، والمرض نخر جسمها فوثبوا عليها وكتموا البقية الباقية من أنفاسها.

وهذه الحالة هي الأمارة التي جعلها الرسول ﷺ ميقاتاً لتداعي أمم الكفر للقضاء على أمة الإسلام.

عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها».

---

(١) ننصح لقرائنا بمطالعة كتابين جليلين في هذا الباب:

أ ـ حصوننا مهددة من داخلها: الدكتور محمد محمد حسين، طبع بيروت.

ب ـ واقعنا المعاصر: محمد قطب، مؤسسة المدينة للصحافة.

فقال قائل:

ومن قلة نحن يومئذ؟

قال:

«بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن».

فقال قائل:

يارسول الله، وما الوهن؟

قال:

«حب الدنيا وكراهية الموت» (١).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩٧) وغيره من طريق ابن جابر حدثني أبو عبد السلام عنه به مرفوعاً.قلت: وهذا إسناد لا بأس به في المتابعات، ابن جابر هو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ثقة، وشيخه أبو عبد السلام هو صالح بن رستم الدمشقي كما في الكاشف (٢/ ١٩) للذهبي، ولكن ابن حجر فرق بينهما في التقريب وهو على جميع الأحوال يصلح للمتابعات.

ولم يتفرد به. فقد تابعه أبو أسماء الرحبي عن ثوبان.

أخرجه أحمد (٥/٢٧٨) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٨٢) عن المبارك بن فضالة ثنا مرزوق أبو عبدالله الحمصي أنا أبو أسماء الرحبي.

قلت: وهذا اسناد حسن رجاله ثقات غير المبارك فانه صدوق وانما =

وفي هذه الأمارة صوى على الطريق نوجزها في :

١ ـ أن أمم الكفر تدعو بعضها بعضاً للتآمر على الإسلام ودولته وأهله .

٢ ـ أن ديار المسلمين منبع خيرات وبركات تحاول أمم الكفر الاستيلاء عليها .

٣ ـ أن أمم الكفر أكلت خيرات المسلمين بلا مانع ولا منازع وتناولتها عفوا صفوا .

ومن عرف خبايا الحرب العالمية الأولى حيث جيشت أوروبة الصليبية جيوشها للقضاء على دولة الخلافة .

ثم ما تلاها من مؤامرات ومعاهدات من أشهرها معاهدة «سايكس بيكو» حيث تقاسم الأكلة التركة وصيروا بلاد المسلمين الواحدة جنوداً مجندة كما أخبر رسول الله ﷺ :

«ستجندون أجناداً جنداً بالشام وجنداً بالعراق وجنداً باليمن» .

فقلت : خر لي يارسول الله .

فقال :

«عليكم بالشام فمن أبى فليلحق بيمنه وليستق من غدره فإن الله عز وجل تكفل لي بالشام وأهله» .

= يخشى من تدليسه ، ولكنه صرح بالتحدث .
ولذلك فالحديث صحيح بطريقيه .

قال ربيعة: فسمعت أبا إدريس الخولاني يحدث بهذا الحديث ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه[1].

أليس هذا واقع العالم الإسلامي في أيامنا هـذه، دويلات ليس لهـا من الأمر شيء، وليس لهـا في توجيـه شؤونها أمـر أو نهي وإنما تستمد قوتها وحمايتها وسيـاستها من الشـرق الملحد أو الغرب الصليبي اليهودي، فالله المستعان وعليه التكلان.

٤ ـ أن أمم الكفر لم تعد تهاب المسلمين لأنهم فقدوا مهابتهم التي كانت ترتجف لها أوصال أمم الكفر فلم يعد سلاح الرعب الفتاك يمـــلأ قلوب الكافرين، ويزلزل حصونهم.

قال تعالى:

﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بـالله ما لم ينزل به سلطاناً﴾ (آل عمران: ١٥١).

قال رسول الله ﷺ:

«أعطيت خمساً لم يعـطهن أحـد قبلي: نصـرت بالـرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهورا فأيما رجـل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولـم تحـل لأحد

---

(١) حـديث صحيح لـه عدة طرق عن عبد الله بن حـوالة رضي الله عنـه بينهـا وخرجهـا شيخنا الألبـاني في «تخريـج أحاديث فضـائل الشـام ودمشق» (٢) فلينظر.

قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»[1].

وهذه الخصوصية تتعدى إلى أمة محمد ﷺ بدليل قوله ﷺ في حديث ثوبان الآنف «ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم. . .».

وبهذا يتبين تبين الصبح لذى عينين أن عناصر قوة هذه الأمة ليس في عددها وعُددها، وخيلها ورجلها وإنما في عقيدتها لأنها أمة العقيدة وحاملة لواء التوحيد، ألم تسمع رسول الله ﷺ يجيب السائل عن العدد:

«بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل».

فما الذي جعل الشجرة الباسقة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء غثاء أحوى؟!
الجواب في:

الدلالة الثانية:

إن السموم الفتاكة التي انهكت قوة المسلمين، وشلت حركتهم، ونزعت بركتهم ليست سيوف الكفر التي اجتمعت

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٤٣٦ ـ الفتح)، مسلم(٥/ ٣ ـ ٤ ـ نووي) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

على الكيد للإسلام وأهله ودولته، وإنما هي الجراثيم الخبيثة التي تسللت إلى داخل جسم العملاق الإسلامي على فترات بطيئة لكنها متوالية وأكيدة المفعول.

وهذا يؤكد أن الوصف الصليبي اليهودي لدولة الإسلام بـ «الرجل المريض» كان دقيقاً فهم الذين غرسوا بكتيريا الشهوات وفيروسات الشبهات في كيان دولة الإسلام، وأنها نمت وترعرعت في أحضانهم ومحاضنهم وشربت لبانهم حتى الثمالة.

وهذا تجده في الإشارة النبوية الواردة في حديث حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه والتي تشير إلى مرحلة الخير الذي فيه دخن.

قلت:

وهل بعد هذا الشر من خير؟

قال:

«نعم وفيه دخن».

قلت: وما دخنه؟

قال:

«قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر».

وقد تنوعت عبارات شارحي الحديث حول مفهوم الدخن ولكنها تتفق في محصلة واحدة.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٣٦).

«هو الحقد، وقيل: الدغل، وقيل: فساد القلب، ومعنى الثلاثة متقارب.

يشير إلى أن الخير الذي يجيء بعد الشر لا يكون خالصاً بل فيه كدر.

وقيل: المراد بالدخن الدخان، ويشير بذلك إلى كدر الحال.

وقيل: الدخن كل أمر مكروه.

وقال أبو عبيد: يفسر المراد بهذا الحديث، الحديث الآخر: لا ترجع القلوب قوم على ما كانت عليه.

وأصله: أن يكون في لون الدابة كدورة فكأن المعنى أن قلوبهم لا يصفو بعضها إلى بعض أ. هـ.

ونقل النووي في «شرح صحيح مسلم» (١٢/ ٢٣٦ - ٢٣٧) قول أبي عبيد.

قال البغوي في «شرح السنة» (١٥/ ١٥):

«قوله: وفيه دخن، أي: لايكون الخير محضاً، بل فيه كدر وظلمة، وأصل الدخن أن يكون في لون الدابة كدورة إلى السواد» أ. هـ.

ونقل العظيم أبادي في «عون المعبود» (١١/ ٣١٦) عن القارى قوله:

«وأصل الدخن هو الكدورة واللون الذي يضرب إلى السواد فيكون فيه إشعار إلى أنه صلاح مشوب بالفساد» أ. هـ.

قلت:

تتمخض هذه الشروحات عن أمرين:
١ ـ أن هذه مرحلة ليست خيراً خالصاً وإنما مشوبة بكـدر يعكر صفو الخير ويجعل مذاقه ملحاً أجاجاً.
٢ ـ أن هـذا الكدر يفسـد القلوب ويجعلها ضعيفـة حيث يدب إليها داء الأمم وتتخطفها الشبهات.

ولسنا بحاجة للوقوف طويلاً عنـد كل شـرح نبين صحيحه من قبيحه، وسليمه من سقيمه، لأن رسول الله ﷺ قرر أمور:

١ ـ أن هذا الدخن انحراف يعتري المنهج النبوي الحق الـذي كان يسود مرحلة الخير الخالص فيؤدي إلى تشويه المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها، ألم يقل في تفسير الدخن كما جاء في حديث حذيفة عندما سأله رضي الله عنه:
«قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي».
هذا هو أصل الداء وجذر البلاء إنه انحراف عن السنة في المنهـج والانصـراف عن السمت النبـوي فـي السـلوك والعمل.

٢ ـ أن ظاهر هذه المرحلة خير لكن باطنها من قبله الهلاك، ألم يقل رسول الله في حديث حذيفة عند مسلم: «وسيقوم فيهم رجال قلوب الشياطين في جثمان إنس» وهذا قد يخدع كثير من الناس الذين ينظرون إلى ظواهر الأشياء لكن أبصارهم عن بواطن الأمور محجوبة، وبذلك لا يلقون بالاً لإصلاح الخلل من بدايته حتى لا يستفحل ويتسع الخرق على الواقع.

٣ ـ أن هذا الدخن ينمو فاتكاً بالخير حتى يسيطر فتكون مرحلة الشر الخالص وبداية دعاة الضلالة، وفرق الغواية.

٤ ـ وبهذا يكون مثيرو الدخن هم سلف دعاة الضلالة وبهذا تتضح أن سلسلة التآمر على الإسلام وأهله ودولته لها جذور عميقة في التاريخ الإسلامي.

٥ ـ أن رؤوس الفتنة يعملون بنشاط بينما أهل الحق غافلون نائمون بدليل أن هذا الدخن كبر حتى سيطر ووثب على الحق وأهله وثل عرش دولته.

وبهذا يتضح أن الدخن الذي شاب الخير فكدر معينه وغير روائه هو البدع التي أطلت برؤوسها من أوكار المعتزلة والصوفية، والجهمية، والخوارج، والأشعرية، والمرجئة، والروافض، منذ قرون ابتغاء الفتنة فأمعنت في الإسلام تحريفاً وانتحالاً وتأويلاً.

فلم يبق من القرآن إلا رسمه، ومن الإسلام إلا اسمه ومن التعبد إلا جسمه.

ونبتت خلوف اتبعوا الشهوات واجتالتهم الشبهات فغزا الوهن قلوبهم، وظهرت في الأمة سكرتا الجهل وحب العيش فلم تعد آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر مجاهدة في سبيل الله ففقدت خيريتها لأنها لم تؤد شرط الله فيها[1].

عن أنس بن مالك رضي‌الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) انظر لزاما «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (١/ ٣٩٩ ـ ٤٠٥).

«أنتم على بينـة من ربكم تأمـرون بالمعـروف وتنهون عن المنكـر في سبيل الله ثم تـظهر فيكم السكـرتان سكـرة الجهل وسكرة حب العيش وستحولون عن ذلك فـلا تأمـرون بمعروف ولا تنهون عن منكر ولا تجاهدون في سبيل الله القائمون يومئـذ بالكتاب والسنة لهم أجر خمسين صديقاً».

قالوا: يارسول الله منا أو منهم؟

قال: «لا بل منكم»[1].

وبذلك أصبحت الأمة الإسلاميـة في ذيل القـافلة البشريـة مرتعاً لكل ناعق، واستنسر بأرضهـا الباطـل وهو زاهق، وتكلم في أمرها كل منافق مارق.

ومنـه يتضـح أن أمـر البـدع خـطيـر لأنهـا تفسـد القلوب والأبدان بينما الأعداء يفسدون الأبدان.

ولذلك فقـد اتفقت كلمات السلف الصـالح على وجـوب مجاهدة أهل البدع وهجرهم.

قال مؤرخ الإسلام الذهبي في كتابه المستكان «سير أعلام النبـلاء» (٧/٢٦١) بعـد أن نقـل قـول سفيـان الثـوري: «من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة وهـو يعلم، خرج من عصمـة الله ووكل إلى نفسه».

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/٤٩) واسناده صحيح.

وعنه: «من سمع ببدعة فلا يحكها لجلسائه، لايلقها في قلوبهم».

قال الذهبي: «أكثر السلف على هذا التحذير، يرون أن القلوب ضعيفة والشبه خطافة».

قلت: صدق رحمه الله وبر ونصح.

الدلالة الثالثة :

أن الذين غرسوا هذه الجراثيم في جسم الأمة الاسلامية هم من ابنائها.

لكيلا تستيقظ الأمة الاسلامية على وخز الابر السامة المحقونة بالجراثيم الفتاكة التي تغرز في جسمها، وامعاناً في تضليلها وتعتيم الأمور وحجب الحقائق عن بصرها، فقد قام أئمة الكفر باقامة مصانع داخلية[1] لافراز سمومهم من الداخل

---

(١) تم ذلك لأعداء الله بطريقتين:

الأولى: الابتعاث والذي سنه محمد علي ودرج عليه من أتى بعده، وهنا يتم غسيل الدماغ لأبناء المسلمين ومن ثم يرجعون الى ديارهم ينفذون ما سمعوه ورأوه.

الثانية: الاستشراق، ومنه تسلل الأذكياء من أعداء الله تحت شعار الدراسة والبحث العلمي، وقد أثبتت الدراسات المحايدة أن هؤلاء المستشرقين عملاء لأجهزة المخابرات الصليبية اليهودية.

فلا تظهر أعراض المـرض الخبيث الا بعد مـدة طويلة وحينئـذ يستعصى على الطبيب ويحير اللبيـب.

هذه المصانع التي تردد ما يلقى في سمعها من أعـداء الله وتفـرز ما يحقنـه بها أئمـة يهـدون الى النـار هي من جلدتنـا، وتتكلم بلغتنا، وتزعم الحـرص على أمتنا، والعمـل على بعث حضارتنا.

ولكن الـرحمة المهـداة ﷺ لم يترك في الأمـر لبساً، فقـد بين بوحي من الله ولم يكن حدساً.

ففي حديث حذيفة وصف لهولاء النفر الذي صنعهم أئمـة الكفر على أعينهم، وغذوهم بلبانهم.

قال رسول الله ﷺ:

«نعم، دعـاة على أبواب جهنم من أجـابهم اليهـا قـذفـوه فيها».

قلت: يا رسول صفهم لنا.

قال: «هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا».

فهذه الصفة الأولى التي يعرفون بها، فهم من العرب نسباً ولغة.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (١٣/ ٣٦):

«أي من قومنا ومن أهل لساننا وملتنا، وفيـه اشارة الى أنهم من العرب».

وقال الداودي: أي من بني آدم.
وقال القابسي: معناه في الظاهر على ملتنا وفي الباطن مخالفون، وجلدة الشيء ظاهره، وهي في الأصل غشاء البدن.

قيل: «ويؤيد ارادة العرب أن السمرة غالبة عليهم، واللون انما يظهر في الجلد». أ.هـ

وفي رواية لمسلم:
«وسيقوم فيهم رجال قلوب الشياطين في جثمان الانس»

وهذه الصفة الثانية التي يعرفون بها، فهم يظهرون الحرص على الأمة ومصالحها وسيادتها واستقلالها... يرضون الأمة بألسنتهم، وتأبى قلوبهم الا تنفيذ ما تعلموه وتربوا عليه في محاضن أسيادهم من الصليبيين واليهود.

قال تعالى:

﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾[1].

هذا ما يخطط له الأسياد من الفرنجة واليهود، وينفذه العبيد من الرويبضات الذين استنسروا في أرضنا لأنهم ترعرعوا عليها، وأكلوا من خيراتها، ولكنهم عُمِّدوا في محاضن حزب

---

(١) البقرة: ١٢٠.

الشيطان وجنود ابليس الذين دربوهم على المبدأ الصليبي القائل:

انه بطيء لكنه أكيد المفعول.

وهو ما حذر منه المولى عز وجل في قوله:

﴿كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون﴾[١].

هكذا يستخفون بالشعوب والأمم فأطاعتهم، وأسلمت قيادها لهم، وهم يجرون بها الى النار،ويريدون أن يبوؤوها دار البوار.

وهؤلاء لا يفترون في الدعوة الى ضلالتهم ومنكرهم ويقيمون لذلك التجمعات والمؤتمرات والصالونات، ولذلك ورد وصفهم بأنهم دعاة.

والدعاة بضم الدال جمع داع أي جماعة قائمة بأمرها وداعية للناس الى قبولها[٢].

---

(١) التوبة: ٨

(٢) انظر: عون المعبود: العظيم أبادي، (١١/٣١٧).



٥ ـ إشارة أصبع

هذه التحذيرات النبوية، والومضات السنية اشارة أصبع للذين أصيبوا بعمى الألوان فأصبحوا مجرد أبواق يرددون ما يلقى اليهم من وراء البحار وخلف الحدود(!).

انها تنبيهات للأمة الاسلامية لعلها تحذر كيد الكافرين وتستفيق فلا تتبع سبيل المجرمين.

اننا وجدنا آثارها في تاريخ المسلمين، ورأينا شرورها في دنيا الناس أجمعين.

١ ـ ألم تثل السيوف العربية التي خرجت من أم القرى وما حولها مدعية النسب النبوي الشريف بتخطيط صليبي يهودي ماكر عرش الخلافة الاسلامية، مظهرة حرصها على مصالح العرب والمسلمين، وانقاذهم من الجهل والفقر والاستعباد.

٢ ـ ألم يكن الذئب الأغبر الذي حول تركيا الى دولة علمانية

تستبيح حرمات الله ليلاً نهاراً، سراً جهاراً من جلدتنا ويتكلم لغتنا.

ألم يلبس مسوح الاصلاح والانقاذ والغيرة على الأمة المنكوبة بدولتها حتى إنه أغرى أمير الشعراء(!)

فقال:

الله أكبر كم للفتح من عجب

يا خالد الترك قم جدد خالد العرب

٣ ـ أليس رفاعة الطهطاوي الذي ترجم قوانين فرنسا وزين ادخالها الى بلاد المسلمين من جلدتنا ويتكلم بألسنتنا.

٤ ـ أليس قاسم أمين داعي السفور من جلدتنا ويتكلم بألسنتنا.

٥ ـ أليس طه حسن الذي ألبسه أسياده الصليبيون ثوباً فضفاضاً سموه «عمادة الأدب العربي» ليزعم أن الشعر الجاهلي أبلغ من القرآن ولذلك طمس عليه المسلمون، وانتحلوا شعراً أقل منه بلاغة ونسبوه للشعراء الجاهليين ليزعموا أن القرآن أبلغ من الشعر الجاهلي.

إنها أفكار مرجليوث المستشرق اليهودي انتحلها عميد الأدب العربي[١] وتبطنها وأذاع بها.

---

(١) يزعم كثير من المخدوعين أن طه حسين تراجع عن أفكاره، وأنى لهم اثبات ذلك وقد أجرت صحيفة «صباح الخير» لقاء معه قبل هلاكه بعام فقرر أنه ما زال مؤمنا بكل حرف قاله في كتابه «الشعر الجاهلي».

أليس هـذا العميد العنيـد من جلدتنا ويتكلم بلسـاننـا بـل نصبوه عميداً لأدب العرب(!).

٦ ـ والأمثلة كثيـرة تفوق الحصـر، وهي متوارثـة في كل عصـر ومصر.

ولم تزل جموع دعاة الضلالة ترفع عقيدتها الى يومنـا هذا تدعو الى جهنم عياذاً بالله.

فهـاهم دعـاة الـديمقـراطيـة ينبحـون، وهـا هم أربـاب الاشتـراكية ينهقـون، وها هم أوليـاء القـوميـة ينحبون.... والناس وراءهم يلهثون.

****

*****



٦ ـ والله متم نوره

على الرغم من مكر الليل والنهار الذي يدعو المسلمين الى دار البوار جاء الدعاة الى الله على قدر ففجأوا مصانع الضلالة ومراكز الغواية التي تعيش في أرض المسلمين، وتعيث في الأرض فساداً، لأن هذه الطفيليات نقلت نقطة ارتكازها نهائياً الى دائرة المدينة الصليبية اليهودية، وظنت ظن السوء أن الأمة قد أزمعت أن تخرج من الاسلام... ولن تعود(!).

ولكن هؤلاء أغفلوا حقائق كثيرة لا تسير بتوجيهاتهم ولا تقع في دائرة حساباتهم لأن الله جعل في آذانهم وقراً أن يسمعوه وعلى قلوبهم أكنة أن يفقهوه، وعلى أعينهم غشاوة أن يبصروه.

١ ـ أغفلوا بادىء ذي بدىء أن الأمر لله من قبل ومن بعد، وليس لهم أو غيرهم من الانس والجن.

قال جل جلاله:

﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[1].

وقال جل ثناؤه:

﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾[2].

وقال تبارك وتعالى:

﴿بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾[3].

والله سبحانه كتب لهذا الدين البقاء في الأرض رغم كيد الأعداء ومكرهم، فاخبر جل جلاله:

﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾[4].

وهذا يقتضي أن يبقى فئام من المسلمين قائمين على أمر الله لا يضرهم كيد الأعداء حتى يأتي الله بأمره.

٢ ـ وأغفلوا أن عامة المسلمين قد صحبوا هذا الدين قرون كثيرة قبل أن يحاول المرجفون بث سموم الصليبية واليهودية والالحاد في ديار المسلمين.

---

(١) يوسف: ٢١

(٢) القصص: ٦٨

(٣) البقرة: ١١٧

(٤) الصف: ٨ ـ ٩

فإذا غفل المسلمون عن دينهم فترة فإنما هي سحابة صيف عما قليل تنقشع عندما يذهب مفعول التخدير الذي حقنت به الأمة الإسلامية.

وهـذا يستلزم بقاء طائفة من المسلمين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم، لأن هذه الأمة المرحومة لن تجتمع على ضلالة.

٣ ـ أغفلوا أن هذا الدين هو دين الحق، والحق يمكث في الأرض لأنه ينفع الناس، والبقاء للحق لأنه الأقوى والأصلح.

وبدأ المسلمون يستيقظون فيرون واقعاً مريراً، وديارا مفتتة، واتجاهات كثيرة تدعوهم للتخلي عن إسلامهم ومصدر عزتهم، فأخذت كل طائفة من المسلمين تنظر للواقع من جهة تختلف عن نظرة الطائفة الأخرى.

ولذلك فالحق يقال: إن الجماعات العاملة اليوم في ميدان الدعوة تختلف بينها اختلافاً واسعاً حول منهج الدعوة ونقطة الانطلاق، وكيفية المسير.



٧ ـ جماعات من المسلمين وليس جماعة المسلمين

وأخطر خلاف يحول بين اتفاقهم على كلمة سواء أمران:
الأول: اختلافهم في مصادر التلقي والفهم للكتاب والسنة.
الأخير: عدم ادراكهم لحجمهم.

أما الأول فنطوي صفحاً عن بسطه هنا لأننا أرجأناه الى موقع آخر في كتاب متخصص.

أما الأخير:

فإننا لم نزل نشاهد أن الحزبية الضيقة قد ضربت بجرانها حول عقول كثير من الجماعات العاملة في ميدان الدعوة إلى الله، فأصبحت لا ترى إلا نفسها، وهضمت وجود الآخرين من حولها.

وتنامى الأمر حتى رأينا أن بعضها يدعي أنه جماعة المسلمين وأن مؤسسها هو إمام المسلمين، وبنوا على هذه التوهمات قصوراً وعلالي أضخم من جبال الهمالايا، ولكنها أرفع من أعواد الخيزران فبعضها ادعى وجوب البيعة لإمامهم،

وآخرون كفروا السواد الأعظم من المسلمين بعد قرون الخير المفضلة، ورهط زعموا أنهم الجماعة الأم التي يجب على الآخرين أن يلتفوا من حولها،ويستظلوا برايتها.

وتناسى أكثرهم أنهم يعملون لإعادة جماعة المسلمين، فلو كانت جماعة المسلمين موجودة، وإمامها موجود لما رأينا هذا الاختلاف والتعدد الذي ما أنزل الله به من سلطان.

والحقيقة أن العاملين للإسلام هم جماعات من المسلمين، وليس جماعة المسلمين، لأنه ليس للمسلمين اليوم جماعة ولا إمام.

****

*****



٨ - جماعة المسلمين

واعلم أيها المسلم أن جماعة المسلمين هي التي ينتظم في سلكها جميع المسلمين ويكون لها إمام منفذ لأحكام الله حيث تجب طاعته واعطائه صفقة اليد وثمرة الفؤاد.

فهي دولة الإسلام التي على رأسها خليفة منفذ لأحكام الله، وأما الجماعات التي تعمل على إعادة دولة الخلافة فهي جماعات من المسلمين، يجب أن تتعاون فيما بينها، وتلغي الحواجز القائمة بين أفرادها، ليلتقوا على كلمة سواء تحت كلمة التوحيد.

نقل الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله في «فتح الباري» (٣٧/٣١) عن الطبري قوله:

«اختلف في هذا الأمر وفي الجماعة. فقال قوم: هو للوجوب، والجماعة السواد الأعظم، ثم ساق عن محمد بن سيرين عن أبي مسعود أنه وصى من سأله لما قتل عثمان أن عليك بالجماعة فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد على ضلالة.

وقال قوم: المراد بالجماعة الصحابة دون من بعدهم.

وقال قوم: المراد بهم أهل العلم لأن الله جعلهم حجة على والناس تبع لهم في أمر الدين.

والصواب: أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة.

وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزاباً فلا يتبع أحد في الفرقة، ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك خشية من الوقوع في الشر، وعلى ذلك يتنزل ما جاء في سائر الأحاديث، وبه يجمع ماظاهره الاختلاف منها، ويؤيده رواية عبد الرحمن بن قرط المتقدم ذكرها». أ. هـ.

****

*****



٩ - اعتزال الفرق

حديث حذيفة يقضي باعتزال جميع فرق الضلالة كلها أيام الشر والفتن عندما لا يكون للمسلمين جماعة ولا إمام.

وهذه الفرق هي التي تدعو إلى ضلالة، وتجمعت على منكر من القول أو الفعل أو الأهواء سواء أكان مصالح أو مطامع أو مطامح، أو تجمعت على أساس أفكار الكفر كالاشتراكية والشيوعية والرأسمالية والديمقراطية، أو اجتمعت على أساس اقليمي أو قومي أو عرقي أو مذهبي أو غير ذلك.

فهذه فرق الضلالة هي التي أمر الرسول ﷺ في حديث حذيفة باعتزالها والابتعاد عنها لأنها تسوق الناس الى جهنم لتقذفهم فيها لكونها تحمل غير الإسلام أو تحرف الإسلام.

أما الجماعات التي تحمل الإسلام وتدعو إليه وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فحكمها غير ذلك إذ أمر الله بوجودها ومناصرتها في الحق، كما قال جل جلاله:

«ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون».

فهذه الجماعات يجب على المسلم أن يعينها فيما عندها من الحق، ويجب عليه أن يتولاها نصحاً وإرشاداً فيما خالفت فيه الحق أو قصرت فيه من الحق.

وهذه الجماعات يجب عليها أن تتعاون فيما اتفقت عليه من الحق، وينصح بعضها لبعض فيما اختلفوا فيه، ويسألوا الله أن يهديهم في ذلك إلى صراط مستقيم.

وهذه الجماعات يجب أن تكون يداً واحدةً لبناء صرح الإسلام الشامخ وبعث مجده من جديد، لأنها إذا وقفت فرادى فلن تستطيع ذلك، والله يتولى الصالحين.

وهذه الجماعات يجب أن تغذي أتباعها بالحق والحب لجميع المسلمين، فتحطم حواجز الحزبية التي فرقت شملها وأضعفت قوتها، وذهبت بريحها.

وبذلك فان الخارج من هذه الجماعات ليس بخارج من جماعة المسلمين، لأن هذه الجماعة ليس لها صفة ذلك، ولا لمؤسسيها أهلية إدعاء الإمامة.

****

*****



١٠ ـ طريق الخلاص

وقد أمر رسول الله ﷺ حذيفة بأن يعتزل تلك الفرق التي تدعو إلى جهنم، وأن يعض بأصل شجرة حتى يدركه الموت، وهو على ذلك.

وقد تنوعت كلمات العلماء في شرح هذا الأمر النبوي، والذي شرح صدري إليه أن هذا الأمر النبوي فيه وجوب التزام الحق، ومناصرة أهله، والتعاون على أساسه، ودونك البيان:

١ ـ هذا أمر بلزوم الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح يدل على ذلك قوله ﷺ في حديث العرباض بن سارية:

«من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين عضوا عليها بالنواجذ»[١].

ففي حديث حذيفة أمره أن يعض بأصل شجرة عند

---

(١) حديث صحيح ـ أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٤٠) وغيرهم.

الاختلاف معتزلاً فرق الضلالة، وفي حديث العرباض أمر أن يعض على السنة النبوية بفهم الصحابة بالنواجذ وأن يبتعد عن المحدثات فإنها ضلالة.

فإذا جمعنا بين الحديثين ظهر معنى رائق وهو التزام السنة النبوية بفهم السلف الصالح رضوان الله عليهم عند ظهور فرق الضلالة وغياب جماعة المسلمين وإمامها.

٢ ـ يدلك على ذلك أن الأمر بأن يعض على أصل شجرة في حديث حذيفة ليس ظاهره المراد وإنما معناه الثبات والصبر على الحق واعتزال فرق الضلالة التي جانبت الحق، أو معناه أن دوحة الإسلام الوارفة ستعصف بها الرياح الهوج فتحطم أغصانها فلا يبقى إلا أصلها الثابت الذي يقف متحدياً الأعاصير عندئذ يجب على المسلمين أن يحتضنوا هذا الأصل ويفدوه بالنفس والنفيس لأنه سينمو مرة أخرى رغم شدة رياح السموم.

٣ ـ حينئذ يجب على المسلم أن يمد يده للطائفة التي أحاطت هذا الأصل الثابت لترد عنه عوادي الفتن وضواري المحن.

هذه الطائفة لا تزال ظاهرة على الحق حتى يقاتل آخرهم الدجال، وقد بسطنا صفاتها في كتاب «اللآلىء المنثورة بأوصاف الطائفة المنصورة»..

****

*****



١١ ـ الخلاصة

تتمخض خاتمة حديث حذيفة عن ثلاثة أمور:

١ ـ وجوب لزوم جماعة المسلمين وطاعة أئمتهم ولو عصوا.
ألم تسمع رسول الله يقول في رواية مسلم:
قلت كيف أصنع يا رسول الله إن أدركني ذلك.
قال:
«تسمع وتطيع الأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع».

وهذا أمر جهله كثير من المسلمين عندما رأوا فساد وظلم الخلفاء المتأخرين في دولة الخلافة فسعوا للتحالف مع الكفرة لإزالة دولة الخلافة.

وتناسوا أنه لا يجوز الخروج على الأئمة ما لم يروا الكفر البواح والشرك الصراح الذي عندهم عليه من الله برهان.

٢ ـ فان لم يكن للمسلمين جماعة ولا إمام، فعلى المسلم أن يعتزل فرق الضلالة وأحزاب الفرقة.

٣ ـ اعتزال فرق الضلالة لا يعني العزلة المطلقة التي يترك فيها الباطل يصول ويجول دون رادع أو منازع بل على المسلمين التمسك بأصول هذا الدين كتاباً وسنة وفهمها بفهم صحابة رسول الله ومن سار على دربهم من أئمة الهدى، ودعوة البشرية لهذين الأصلين العظيمين اللذين سيحكمان الأرض ومن عليها، ولتعلمن نبأه بعد حين، لأن وجود فرق الضلالة لا يعني خلو الأرض من قائم لله بحجة لأن رسول الله أخبر في أحاديث متواترة عن وجود طائفة تحمل الحق في كل العصور حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم.

****

****

١٢ - صوى على الطريق

١ - واقع الأمة الإسلامية المعاصر موصوف بحروف بارزة في السنة المطهرة، ولذلك فعلى منظري العمل الإسلامي أن يكون علماء بالكتاب والسنة ولا يتركوا تقدير الأمور لتجاربهم وعقولهم والهاماتهم، ولذلك فوجود ما يسمى بعلماء الحركة، أو الواقع الجاهلين بالكتاب والسنة هو ابتعاد بالجماعات العاملة في ميدان الدعوة إلى الله عن مصدر عزتها، وينبوع هدايتها.

٢ - يجب على علماء الكتاب والسنة أن يأخذوا مكانهم في توجيه العاملين للإسلام، فهم قادة هذه الأمة فإذا ركنوا إلى الدنيا وتخلفوا عن الركب فمن يوجه هذا الطوفان الهادر من شباب الإسلام الذي يرنو ببصره لعزة الإسلام وسيادته.

٣ - لا بد من تصفية الإسلام من الدخن الذي عكر صفوه، وكدر معينه، ليعود يتلألأ نقياً في ثوب الرسالة.

٤ - لا بد من تربية جيل الصحوة كما ربى رسول الله ﷺ جيل القدوة.

٥ ـ لا بد من تضافر جهود جميع العاملين لـلإسلام لكي تصب في اتجـاه إيجاد جمـاعـة المسلمين التي تؤلف بين قلوب المسلمين جميعاً.

٦ ـ نقطة اللقاء بين العاملين للإسلام، وقاعدة الإرتكاز لإيجـاد جماعة المسلمين هي مرحلة الخير الخـالص وهي ما كـان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه.

وأرجو الله أن يوفق المخلصين لإيجـاد جماعـة المسلمين التي تقتفي أثـر رسول الله وصحـابتـه لتعـود دولـة الإسـلام تخفق رايتها من جديد، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، والله يتولى الصالحين المصلحين.

ثبت المراجع والمصادر

الإلزامات والتتبع : الدارقطني ، دار الكتب العلمية .
تفسير القرآن العظيم : ابن كثير، دار المعرفة .
الجامع الصحيح : البخاري ، مع فتح الباري .
حلية الأولياء : أبو نعيم الأصبهاني ، دار الفكر.
سلسلة الأحاديث الصحيحة : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي .
السنن : ابن ماجه، دار احياء التراث العربي .
السنن : أبو داود، دار الفكر.
السنن : الترمذي ، دار احياء التراث العربي .
سير أعلام النبلاء : الذهبي ، مؤسسة الرسالة .
شرح السنة : البغوي ، المكتب الإسلامي .
شرح صحيح مسلم : النووي ، دار احياء التراث العربي .
الصحيح : مسلم بن الحجاج، مع شرح النووي .
عون المعبود : شمس الحق أبادي ، دار الفكر.
فتح الباري : ابن حجر، دار الفكر.

الكاشف: الذهبي، دار الكتب العلمية.
المستدرك: الحاكم ـ طبع الهند.
المسند: أحمد بن حنبل، دار الفكر.



فهرس المواضيع والفوائد


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com





دار الراية
للنشر والتوزيع
الرياض ص.ب ٤٠١٢٤
الرياض ١١٤٩٩ - هاتف : ٤٩١١٩٨٥